إلى أبلابيوس.

أنتم الأقوياء بكل قوة في الإنسان الداخلي يجب عليكم بحق أن تستمروا في النضال ضد أعداء الحق، ولا تتراجعوا عن المهمة، حتى نبتهج نحن الآباء بالكدح النبيل الذي يقوم به أبنائنا؛ لأن هذا هو تحفيز قانون الطبيعة: ولكن عندما تقلبون صفوفكم، وترسلون ضدنا هجمات تلك السهام التي يرميها مناهضو الحقيقة، وتطالبون بإطفاء جمرهم المشتعل وأعمدةهم التي شحذتها المعرفة الكاذبة التي يطلق عليها نحن كبار السن، بدرع الإيمان، فإننا نقبل أمركم، ونجعل من أنفسنا مثالاً للطاعة، حتى تتمكنوا أنتم من إعطائنا الجزاء العادل على مثل هذه الأوامر، أبلابيوس، جندي المسيح النبيل، إذا كان علينا أن ندعوك إلى مثل هذه المسابقة.

في الحقيقة، إن السؤال الذي تطرحه علينا ليس بالأمر الهين، ولا من شأنه أن يتبعه ضرر بسيط إذا قوبل بمعالجة غير كافية. لأنه بقوة السؤال، فإننا مضطرون للوهلة الأولى إلى قبول واحد أو أكثر من الرأيين الخاطئين، وإما القول بوجود ثلاثة آلهة، وهو أمر غير قانوني، أو عدم الاعتراف بألوهية الابن والروح القدس، وهو أمر غير تقوى ومنافٍ للعقل.

والحجة التي ذكرتها هي شيء من هذا القبيل: إن بطرس ويعقوب ويوحنا، لكونهم في طبيعة بشرية واحدة، يُطلق عليهم ثلاثة رجال: وليس هناك عبث في وصف أولئك المتحدين في الطبيعة، إذا كانوا أكثر من واحد، بجمع الاسم المشتق من طبيعتهم. فإذا كان العرف في الحالة المذكورة أعلاه يسمح بذلك، ولا يمنعنا أحد أن نتحدث عن اثنين كاثنين، أو أولئك الذين هم أكثر من اثنين كثلاثة، فكيف أنه في حالة أقوالنا عن أسرار الإيمان، مع الاعتراف بالأقانيم الثلاثة، وعدم الاعتراف بأي اختلاف في الطبيعة بينهم، فإننا نختلف بشكل ما مع اعترافنا، عندما نقول أن لاهوت الآب والابن والروح القدس واحد، ومع ذلك يمنعون الناس من أن يقولوا أن هناك ثلاثة آلهة؟ إن السؤال، كما قلت، من الصعب جداً التعامل معه: ومع ذلك، إذا تمكنا من العثور على أي شيء يمكن أن يدعم عدم اليقين في أذهاننا، بحيث لا يترنح ويتأرجح في هذه المعضلة الوحشية، فسيكون أمراً جيداً. ومن ناحية أخرى، حتى لو وجد أن تفكيرنا غير مساوٍ للمشكلة، يجب علينا أن نحافظ إلى الأبد، بثبات وغير متأثر، على التقليد الذي تلقيناه بالخلافة من الآباء، ونطلب من الرب العقل الذي يدافع عن إيماننا: وإذا وجد هذا لدى أي من الذين وهبوا النعمة، فيجب علينا أن نشكر الذي منح النعمة. ولكن إذا لم يكن الأمر كذلك، فإننا مع ذلك، فيما يتعلق بتلك النقاط التي تم تحديدها، لن نتمسك بإيماننا بشكل ثابت.

إذن، ما هو السبب في أننا عندما نحصي واحداً تلو الآخر أولئك الذين يظهرون لنا في طبيعة واحدة، فإننا عادةً نسميهم بصيغة الجمع ونتحدث عن الكثير من الناس، بدلاً من أن نسميهم جميعًا واحداً: في حين أنه في حالة الطبيعة الإلهية، فإن تعريفنا العقائدي يرفض تعدد الآلهة، ونعدد الأقانيم في نفس الوقت، وفي نفس الوقت لا نعترف بمعنى الجمع؟ ربما يبدو أن المرء قد لمس هذه النقطة إذا قال (متحدثًا بشكل مرتجل إلى الأشخاص الصريحين)، إن التعريف يرفض حساب الآلهة بأي عدد لتجنب أي عدد.

تشابه مع شرك الوثنيين، لئلا، إذا أردنا أيضًا أن نعدد الإله، ليس بصيغة المفرد، بل بصيغة الجمع، كما اعتادوا أن يفعلوا، فقد يُفترض أن يكون هناك أيضًا مجتمع ما في العقيدة. أقول إن هذه الإجابة، إذا قدمت للأشخاص ذوي الروح الأكثر سذاجة، قد تبدو ذات بعض الوزن: لكن في حالة الآخرين الذين يطالبون بضرورة إثبات أحد البدائل التي يقترحونها (إما أننا لا ينبغي أن نعترف باللاهوت في الأقانيم الثلاثة، أو أنه إذا فعلنا ذلك، فيجب أن نتحدث عن أولئك الذين يشتركون في نفس اللاهوت كثلاثة)، فإن هذه الإجابة لا تقدم أي حل للصعوبة. ومن ثم يجب علينا أن نجعل ردنا أكثر تفصيلاً، وأن نتتبع الحقيقة بأفضل ما نستطيع؛ لأن السؤال ليس سؤالا عاديا.

نقول، إذن، في البداية، إن ممارسة تسمية أولئك الذين ليسوا منقسمين في الطبيعة باسم طبيعتهم المشتركة بصيغة الجمع، والقول بأنهم أناس كثيرون، هو إساءة استخدام مألوفة للغة، وأن القول بأنهم طبائع بشرية عديدة سيكون نفس الشيء تقريبًا. وحقيقة هذا يمكن أن نرى من المثال التالي. عندما نخاطب أحدًا، لا نناديه باسم طبيعته، حتى لا يحدث أي لبس من جماعة الاسم، كما يحدث لو اعتقد كل من يسمعه أنه هو نفسه هو الشخص المخاطب، لأن النداء لا يتم بالتسمية الصحيحة بل بالاسم الشائع لطبيعتهم: ولكننا نفصله عن الجمهور باستخدام هذا الاسم الذي يخصه، أي الذي يعني الموضوع المعين. وهكذا فإن الذين اشتركوا في الطبيعة كثيرون – كثيرون من التلاميذ أو الرسل أو الشهداء مثلاً – ولكن الإنسان فيهم جميعاً واحد؛ لأن لفظ الإنسان، كما قلنا، لا ينتمي إلى طبيعة الفرد في حد ذاته، بل إلى ما هو عام. فإن لوقا رجل أو استفانوس رجل. ولكن لا يعني ذلك أنه إذا كان أي شخص رجلاً فهو بالتالي لوقا أو استفانوس: لكن فكرة الأشخاص تقبل ذلك الفصل الذي يتم من خلال السمات المميزة التي يتم أخذها في الاعتبار في كل منها على حدة، وعندما يتم دمجها يتم تقديمها لنا عن طريق العدد؛ ومع ذلك فإن طبيعتها واحدة، متحدة في ذاتها، ووحدة غير قابلة للتجزئة على الإطلاق، لا يمكن أن تزيد بإضافة، ولا تنقص بالنقص، ولكنها في جوهرها واحدة وتبقى على الدوام واحدة، غير قابلة للانفصال وإن ظهرت في التعدد، مستمرة، كاملة، غير منقسمة مع الأفراد المشاركين فيها. وكما أننا نتحدث عن شعب، أو رعاع، أو جيش، أو جماعة بصيغة المفرد في كل حالة، في حين أن كل واحد من هؤلاء يتصور على أنه متعدد، كذلك بالتعبير الأدق يقال إن الإنسان واحد، على الرغم من أن أولئك الذين يظهرون لنا بنفس الطبيعة يشكلون تعددا. وبالتالي، سيكون من الأفضل كثيرًا أن نصحح عادتنا الخاطئة، حتى لا نمد اسم الطبيعة إلى التعدد، بدلاً من عبودية العادة أن ننقل إلى أقوالنا المتعلقة بالله الخطأ الموجود في الحالة المذكورة أعلاه. ولكن بما أن تصحيح العادة غير عملي (فكيف يمكنك إقناع أي شخص بعدم التحدث عن أولئك الذين يظهرون في نفس الطبيعة مثل كثير من الناس؟ - في الواقع، في كل الأحوال، من الصعب تغيير العادة)، فنحن لسنا مخطئين إلى حد كبير في عدم مخالفة العادة السائدة في حالة الطبيعة الدنيا، حيث لا يوجد أي ضرر ينجم عن الاستخدام الخاطئ للاسم: ولكن في حالة البيان المتعلق بالطبيعة الإلهية، لم يعد الاستخدام المتنوع للمصطلحات خاليًا من الخطر: لأن ما هو صغير الحساب في هذه المواضيع لم يعد مسألة صغيرة. لذلك ينبغي علينا أن نعترف بإله واحد، حسب شهادة الكتاب، اسمع يا إسرائيل، الرب إلهك رب واحد، مع أن اسم اللاهوت يمتد عبر الثالوث القدوس. أقول هذا وفقًا للرواية التي قدمناها في حالة الطبيعة البشرية، والتي تعلمنا أنها كذلك

ومن غير المناسب مد اسم الطبيعة بعلامة التعدد. ومع ذلك، يجب علينا أن نفحص اسم اللاهوت بعناية أكبر، لكي نحصل، من خلال الدلالة التي تنطوي عليها الكلمة، على بعض المساعدة في توضيح السؤال المطروح أمامنا.

يعتقد معظم الناس أن كلمة الربوبية تستخدم بدرجة خاصة فيما يتعلق بالطبيعة: وكما يشار إلى السماء أو الشمس أو أي جزء آخر من الأجزاء المكونة للكون بأسماء علم لها دلالة على الفاعلين، كذلك يقولون أنه في حالة الطبيعة العليا والإلهية، فإن كلمة الربوبية تتكيف بشكل مناسب مع ما تمثله لنا، كنوع من الاسم الخاص. نحن، من ناحية أخرى، باتباع اقتراحات الكتاب المقدس، تعلمنا أن تلك الطبيعة غير قابلة للتسمية ولا يمكن وصفها، ونقول أن كل مصطلح اخترعه عادة البشر، أو سلمه لنا الكتاب المقدس، هو في الواقع تفسير لمفاهيمنا عن الطبيعة الإلهية، لكنه لا يتضمن دلالة تلك الطبيعة نفسها. ويمكن أن يتبين دون صعوبة كبيرة أن هذا هو الحال. لأن جميع المصطلحات الأخرى المستخدمة للخليقة يمكن أن نجدها، حتى بدون تحليل أصلها، تنطبق على الموضوعات عرضًا، لأننا نكتفي بالإشارة إلى الأشياء بأي شكل من الأشكال بالكلمة المطبقة عليها، وذلك لتجنب الارتباك في معرفتنا للأشياء المدلول عليها. لكن كل المصطلحات المستخدمة لتقودنا إلى معرفة الله قد اشتملت كل منها على معناها الخاص، ولا يمكنك العثور على أي كلمة بين المصطلحات التي تنطبق بشكل خاص على الله والتي ليس لها معنى مميز. ومن هنا فمن الواضح أنه بأي من المصطلحات التي نستخدمها لا يتم الإشارة إلى الطبيعة الإلهية نفسها، ولكن يتم التعرف على أحد محيطاتها. لأننا قد نقول إن الإله غير قابل للفساد، أو قوي، أو أي شيء آخر اعتدنا أن نقول عنه. ولكننا نجد في كل من هذه المصطلحات معنى خاصًا، مناسبًا لفهم الطبيعة الإلهية أو التأكيد عليها، لكنه لا يعبر عن ماهية تلك الطبيعة في جوهرها. لأن الذات، مهما كانت، غير قابلة للفساد: لكن مفهومنا لعدم الفساد هو هذا – أن الكائن لا يتحلل إلى الفساد: لذلك، عندما نقول إنه غير قابل للفساد، فإننا نعلن ما لا تعانيه طبيعته، لكننا لا نعبر عما هو الذي لا يعاني من الفساد. وهكذا، مرة أخرى، إذا قلنا أنه هو واهب الحياة، على الرغم من أننا نظهر بهذا اللقب ما يعطيه، إلا أننا لا نعلن بهذه الكلمة ما الذي يعطيه. وبنفس الاستدلال نجد أن كل ما يترتب على دلالة الأسماء الدالة على الصفات الإلهية إما يمنعنا من تصور ما لا ينبغي أن نتصوره من الطبيعة الإلهية، أو يعلمنا ما ينبغي أن نتصوره منها، لكنه لا يتضمن تفسيرا للطبيعة نفسها. وبما أننا، إذ ندرك العمليات المتنوعة للقوة التي فوقنا، فإننا نشكل تسمياتنا من العمليات العديدة المعروفة لدينا، وكما ندرك كواحدة منها عملية المسح والتفتيش، أو كما يمكن للمرء أن يسميها، "النظر"، حيث يفحص كل الأشياء ويتجاهلها جميعًا، ويميز أفكارنا، بل ويدخل بقوة تأمله في الأشياء غير المرئية، فإننا نفترض أن اللاهوت، أو   ، يدعى هكذا من   ، أو الناظر، وذلك الذي هو   أو الناظر، بالاستخدام المعتاد وبتعليمات الكتاب المقدس، يدعى   ، أو الله. الآن، إذا اعترف أي شخص أن النظر والتمييز هما نفس الشيء، وأن الله الذي يشرف على كل الأشياء، هو ويدعى المشرف على الكون، فليفكر في هذه العملية، ويحكم ما إذا كانت تنتمي إلى أحد الأقانيم الذين نؤمن بالثالوث الأقدس، أو ما إذا كانت القوة تمتد إلى الأقانيم الثلاثة. لأنه إذا كان تفسيرنا لكلمة اللاهوت أو   هو تفسير حقيقي، والأشياء التي ترى يقال إنها ترى، أو   ، والذي يرى يدعى   ، أو الله، فليس أحد من الأقانيم في الله.

يمكن بشكل معقول استبعاد الثالوث من مثل هذه التسمية على أساس المعنى متورط في الكلمة. لأن الكتاب المقدس ينسب عملية الرؤية بالتساوي إلى الآب والابن والروح القدس. يقول داود: انظر يا الله مدافعنا: ومن هذا نتعلم أن البصر هو عملية صحيحة لفكرة الله، بقدر ما يتصور الله، إذ يقول: انظر يا الله. لكن يسوع يرى أيضًا أفكار أولئك الذين يدينونه، ويتساءل لماذا بقوته الخاصة يغفر خطايا البشر؟ لأنه يقول يسوع ينظر أفكارهم. وعن الروح القدس أيضًا قال بطرس لحنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس؟ أعمال 5: 3 تبين أن الروح القدس كان شاهدا صادقا، عالما بما كان حنانيا قد تجرأ أن يفعله في الخفاء، والذي به أظهر السر لبطرس. لأن حنانيا أصبح سارقًا لأمواله الخاصة، كما ظن، سرًا عن الجميع، ويخفي خطيته. ولكن الروح القدس كان في نفس اللحظة في بطرس، واكتشف قصده، مُجرَّدًا كما لو كان جشعًا، وأعطى لبطرس من نفسه القدرة على رؤية السر، مع أنه من الواضح أنه لم يكن بإمكانه أن يفعل هذا لو لم يكن قادرًا على رؤية الأشياء المخفية.

لكن قد يقول قائل إن الدليل على حجتنا لا يتعلق بالسؤال بعد. لأنه حتى لو سلمنا أن اسم اللاهوت هو اسم شائع للطبيعة، فلن يثبت أننا لا ينبغي أن نتحدث عن آلهة. ولكن بهذه الحجج، على العكس من ذلك، نحن مجبرون على التحدث عن آلهة: لأننا نجد في عادة البشرية أنه ليس فقط أولئك الذين هم شركاء في نفس الطبيعة، بل حتى أي شخص قد يكون من نفس العمل، عندما يكونون كثيرين، لا يتم التحدث عنهم بصيغة المفرد؛ كما نتحدث عن العديد من الخطباء، أو المساحين، أو المزارعين، أو صانعي الأحذية، وهكذا في جميع الحالات الأخرى. لو كانت الألوهية بالفعل تسمية للطبيعة، لكان من الأنسب، وفقًا للحجة المقدمة، إدراج الأقانيم الثلاثة في العدد المفرد، والحديث عن إله واحد، بسبب عدم انفصال الطبيعة وعدم قابليتها للتجزئة. الآلهة المتأملون في نفس العملية، حيث يقولون إن المرء يتحدث عن ثلاثة فلاسفة أو خطباء، أو أي اسم آخر مشتق من عمل ما عندما يكون الذين يشتركون في نفس العمل أكثر من واحد.

لقد بذلت بعض الجهد، في عرض هذا الرأي، لتقديم المنطق نيابة عن الخصوم، وهو أن قرارنا قد يكون أكثر ثباتًا، ويتم تعزيزه بالتناقضات الأكثر تفصيلاً. دعونا الآن نستأنف حجتنا.

كما أوضحنا إلى حد ما من خلال بياننا أن كلمة اللاهوت ليست ذات دلالة من حيث الطبيعة بل من الناحية العملية، ربما يمكن للمرء أن يدعي بشكل معقول كسبب، في حالة البشر، يتم تعداد أولئك الذين يشتركون مع بعضهم البعض في نفس المساعي والتحدث عنهم بصيغة الجمع، بينما من ناحية أخرى يتم التحدث عن الإله بصيغة المفرد كإله واحد وإله واحد، على الرغم من أن الأقانيم الثلاثة غير منفصلين عن المغزى الذي يعبر عنه مصطلح اللاهوت، قد يزعم المرء، أنا على سبيل المثال، حقيقة أن الرجال، حتى لو كان العديد منهم ينخرطون في نفس شكل العمل، فإنهم يعملون بشكل منفصل كل منهم بمفرده في المهمة التي قام بها، دون أن يشاركوا في عمله الفردي مع الآخرين الذين يزاولون نفس المهنة. على سبيل المثال، لنفترض أن حالة العديد من البلاغة، فإن سعيهم، لكونه واحدًا، له نفس الشيء

الاسم في الأحوال الكثيرة: ولكن كل من يتبعه يعمل بنفسه، هذا الدعاء على حسابه، وذلك على حسابه. وهكذا، بما أن عمل كل واحد من البشر في نفس المساعي يتم تمييزه، فمن الصحيح أن يطلق عليهم اسم "كثيرون"، لأن كل واحد منهم منفصل عن الآخرين داخل بيئته الخاصة، وفقًا للطابع الخاص لعمله. لكن في حالة الطبيعة الإلهية، فإننا لا نتعلم بالمثل أن الآب يفعل شيئًا بنفسه لا يعمل فيه الابن بشكل مشترك، أو مرة أخرى أن الابن له أي عمل خاص بمعزل عن الروح القدس؛ لكن كل عمل يمتد من الله إلى الخليقة، ويُسمى وفقًا لمفاهيمنا المتغيرة عنه، مصدره من الآب، وينبثق من خلال الابن، ويكتمل في الروح القدس. ولهذا السبب فإن الاسم المشتق من العملية غير منقسم بالنسبة إلى عدد الذين يقومون بها، لأن عمل كل واحد في أي شيء ليس منفصلاً ومميزًا، ولكن كل ما يحدث، سواء بالنسبة إلى أعمال عنايته لنا، أو إلى حكومة الكون وتكوينه، فإنه يحدث بفعل الثلاثة، ولكن ما يحدث ليس ثلاثة أشياء. وقد نفهم معنى هذا من مثال واحد. أقول منه، الذي هو المصدر الرئيسي للمواهب، كل الذين اشتركوا في هذه النعمة نالوا حياتهم. عندما نتساءل من أين أتت لنا هذه العطية الصالحة، نجد بإرشاد الكتاب المقدس أنها كانت من الآب والابن والروح القدس. ومع أننا ذكرنا ثلاثة أقانيم وثلاثة أسماء، إلا أننا لا نعتبر أننا منحنا ثلاثة أرواح، واحدًا من كل أقنوم على حدة؛ ولكن الحياة عينها يجريها الآب فينا، ويُعدها الابن، وتعتمد على مشيئة الروح القدس. إذًا فإن الثالوث القدوس يتمم كل عمل بطريقة مشابهة لتلك التي تكلمت عنها، ليس بعمل منفصل حسب عدد الأقانيم، بل بحيث تكون هناك حركة واحدة وتصرف واحد للإرادة الصالحة التي تنتقل من الآب عبر الابن إلى الروح (لأنه كما أننا لا نسمي أولئك الذين يعطي عملهم حياة واحدة ثلاثة معطيين حياة، ولا نسمي أولئك الذين يتأملون في صلاح واحد ثلاثة كائنات صالحة، ولا نتحدث عنهم بصيغة الجمع من قبل أي من الكائنات الأخرى). سمات)؛ لذلك لا يمكننا أيضًا أن نسمي أولئك الذين يمارسون هذه القوة الإلهية المشرفة والعمل تجاه أنفسنا وجميع الخليقة، بشكل مشترك وغير منفصل، من خلال عملهم المتبادل، ثلاثة آلهة. لأنه كما أننا عندما نتعلم عن إله الكون، من كلمات الكتاب، أنه يدين كل الأرض (رومية 3: 6)، نقول إنه ديان كل الأشياء بالابن؛ ومرة أخرى، عندما نسمع أن الآب لا يدين أحدًا، لا نعتقد أن الكتاب المقدس يتعارض مع نفسه – (لأن الذي يدين كل الأرض يفعل هذا بابنه الذي سلم إليه كل الدينونة، وكل ما فعله الابن الوحيد قد صنعه) مرجعها إلى الآب، بحيث أنه هو نفسه ديان كل الأشياء ولا يدين أحدًا، لأنه، كما قلنا، قد سلم كل الدينونة إلى الابن، في حين أن كل دينونة الابن تتوافق مع إرادة الآب؛ ولا يمكن للمرء أن يقول بشكل صحيح أنهما قاضيان، أو أن أحدهما مستبعد من السلطان والقوة المتضمنتين في الدينونة)؛ - كذلك في حالة كلمة اللاهوت، المسيح هو قوة الله وحكمة الله، و إن قوة الإشراف والنظر هذه التي نسميها اللاهوت، يمارسها الآب من خلال الابن الوحيد، بينما يكمل الابن كل قوة بالروح القدس، يدين كما يقول إشعياء، بروح القضاء وروح الإحراق (إشعياء 4: 4)، ويعمل به أيضًا حسب قول الإنجيل الذي قيل لليهود. لأنه يقول: إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين (مت 12: 28)؛ حيث أدخل كل فعل خير في وصف جزئي، لوحدة الفعل: إذ

فالاسم المشتق من العملية لا يمكن تقسيمه بين أسماء كثيرة حيث تكون نتيجة تشغيلها المتبادل واحدة.

وبما أن صفة القوة المشرفة والناظرة هي واحدة، في الآب والابن والروح القدس، كما قلنا في حجتنا السابقة، فهي تنبثق من الآب كما من ينبوع، ويعمل بها الابن، وتكمل نعمتها بقوة الروح. وبما أنه لا توجد عملية منفصلة فيما يتعلق بالأقانيم، يتم تنفيذها من قبل كل فرد على حدة بصرف النظر عن تلك المرتبطة به في تأملنا، ولكن كل العناية والرعاية والإشراف على الجميع، سواء على الأشياء في الخليقة المعقولة أو تلك ذات الطبيعة الفائقة، وتلك القوة التي تحفظ الأشياء الموجودة، وتصحح تلك التي هي خاطئة، وتعلم أولئك الذين هم في ترتيب صحيح، هي واحدة، وليس ثلاثة، كونها في الواقع موجهة من قبل القدوس. الثالوث، مع أنه لا ينفصل بانقسام ثلاثي بحسب عدد الأقانيم المتأمل فيهم في الإيمان، بحيث يكون كل عمل من الأعمال المتأمل فيها في حد ذاته، من عمل الآب وحده، أو من عمل الابن على نحو خاص، أو من عمل الروح القدس منفصلاً، ولكن، كما يقول الرسول، فإن الروح الواحد ونفسه يقسم مواهبه الصالحة لكل إنسان على حدة (1 كورنثوس 12: 11)، فإن حركة الخير الصادرة من الروح ليست كذلك. بلا بداية – نجد أن القوة التي نتصورها تسبق هذه الحركة، وهي الإله الوحيد الجنس، هي صانعة كل الأشياء. بدونه لا يصل أي شيء موجود إلى بداية وجوده: ومرة أخرى، هذا المصدر نفسه للخيرات من مشيئة الآب.

فإذا كان كل صالح وكل اسم صالح، معتمداً على تلك القوة والقصد الذي لا بداية له، يكمل بقوة الروح من خلال الله الوحيد الجنس، بلا علامة زمن أو تمييز (إذ ليس هناك تأخير أو وجود أو تصور في حركة الإرادة الإلهية من الآب خلال الابن إلى الروح): وإذا كانت اللاهوت أيضًا أحد الأسماء والمفاهيم الصالحة، فلن يكون من المناسب تقسيم الاسم إلى كثرة، لأن الوحدة الموجود في الإجراء يمنع تعداد الجمع. وبما أن مخلص جميع البشر، وخاصة المؤمنين (1 تيموثاوس 4: 10)، يتحدث عنه الرسول كواحد، ولا يجادل أحد في هذه العبارة أن الابن لا يخلص الذين يؤمنون، أو أن الخلاص يعطى لأولئك الذين يقبلونه بدون تدخل الروح؛ لكن الله الذي على الكل، هو مخلص الكل، بينما يقوم الابن بالخلاص بواسطة نعمة الروح، ومع ذلك فإنهم لا يطلق عليهم في الكتاب المقدس لهذا السبب ثلاثة مخلصين (على الرغم من الاعتراف بأن الخلاص صادر من الثالوث القدوس): لذلك لا يطلق عليهم أيضًا اسم ثلاثة آلهة، وفقًا للدلالة المخصصة لمصطلح اللاهوت، على الرغم من أن التسمية المذكورة أعلاه تتعلق بالثالوث القدوس.

لا يبدو لي من الضروري مطلقًا، بالنظر إلى الدليل الحالي لحجتنا، أن نواجه أولئك الذين يعارضوننا بالتأكيد على أننا لا يجب أن نتصور الألوهية كعملية. لأننا، معتقدين أن الطبيعة الإلهية غير محدودة وغير مفهومة، لا نتصور أي فهم لها، لكننا نعلن أن الطبيعة يجب أن تتصور من جميع النواحي على أنها لا نهائية: وما هو لانهائي تمامًا ليس محدوداً في جانب واحد بينما يترك غير محدود في جانب آخر، لكن اللانهاية خالية من التقييد تمامًا. ومن ثم فإن ما هو بلا حدود ليس محدوداً حتى بالاسم. ومن أجل تحديد ثبات مفهومنا للانهاية في حالة الطبيعة الإلهية، نقول أن الإله هو

فوق كل اسم: والربوبية اسم. والآن لا يمكن أن يكون الشيء نفسه اسمًا ويُحسب فوق كل اسم في نفس الوقت.

ولكن إذا كان من دواعي سرور خصومنا أن يقولوا إن أهمية المصطلح ليست العملية، بل الطبيعة، فسوف نعود إلى حجتنا الأصلية، وهي أن العرف يطبق اسم الطبيعة للدلالة على التعدد بشكل خاطئ: لأنه وفقًا للاستدلال الصحيح، لا يرتبط أي نقصان أو زيادة بأي طبيعة، عندما يتم التفكير فيها في عدد أكبر أو أصغر. فإن الأشياء التي تعتبر في محيطها الفردي هي فقط التي تعد على سبيل الإضافة. وهذا التحديد يُلاحظ بالشكل الجسدي، والحجم، والمكان، واختلاف الشكل واللون، وما يُقصد به خارج هذه الشروط فهو بريء من التحديد الذي يتكون من هذه الأقسام. فما لم يُحصر على هذا النحو لا يُحصى، وما لم يُحصر لا يمكن التفكير فيه بكثرة. لأننا نقول إن الذهب، وإن كان مقطعًا إلى أرقام متعددة، هو واحد، وهذا ما يقال عنه، ولكننا نتحدث عن قطع نقدية كثيرة أو ستاتر كثيرة، دون أن نجد أي ضرب لطبيعة الذهب في عدد ستاتر؛ ولهذا السبب فإننا نتحدث عن الذهب، عندما نتأمله بكميات كبيرة، سواء على شكل لوحة أو عملة معدنية، بنفس القدر، لكننا لا نتحدث عنه كعدد كبير من الذهب بسبب كثرة المادة - إلا عندما يقول المرء أن هناك العديد من القطع الذهبية (داريكس، على سبيل المثال، أو ستاترز)، وفي هذه الحالة ليست المادة، ولكن قطع النقود التي ينطبق عليها أهمية العدد: في الواقع، بشكل صحيح، لا ينبغي أن نسميها ذهبًا بل ذهبية.

فكما أن الستايلات الذهبية كثيرة، ولكن الذهب واحد، كذلك أولئك الذين يظهرون لنا منفردين في طبيعة الإنسان، مثل بطرس ويعقوب ويوحنا، كثيرون، ولكن الإنسان فيهم واحد. وعلى الرغم من أن الكتاب المقدس يوسع الكلمة وفقًا لمعنى الجمع، حيث يقول الرجال يقسمون بالعبرانيين الكبرى 6: 16، وأبناء البشر، وفي عبارات أخرى من هذا النوع، يجب أن ندرك أنه عند استخدام عادة صيغة الكلام السائدة، فإنه لا يضع قانونًا فيما يتعلق بملاءمة استخدام الكلمات بطريقة أو بأخرى، ولا يقول هذه الأشياء عن طريق إعطائنا تعليمات حول العبارات، ولكنه يستخدم الكلمة وفقًا للعادة السائدة، بهدف فقط من أجل هذا، أن الكلمة قد تكون مفيدة لأولئك الذين يتلقونها، دون الاهتمام بطريقة دقيقة في طريقة الكلام حول النقاط التي لا يمكن أن ينجم عنها أي ضرر من العبارات فيما يتعلق بالطريقة التي يتم فهمها بها.

في الواقع، ستكون مهمة طويلة أن نبين بالتفصيل من الكتاب المقدس تلك الإنشاءات التي تم التعبير عنها بشكل غير دقيق، من أجل إثبات البيان الذي أدليت به؛ ولكن عندما يكون هناك خطر الإضرار بأي جزء من الحق، لم نعد نجد في عبارات الكتاب المقدس أي استخدام عشوائي أو غير مبال للكلمات. لهذا السبب، يسمح الكتاب المقدس بتسمية البشر بصيغة الجمع، لأنه لا يوجد أحد ينخدع بمثل هذا التعبير في تصوراته ليتخيل عددًا كبيرًا من العلوم الإنسانية، أو يفترض أن العديد من الطبائع البشرية يُشار إليها من خلال حقيقة استخدام الاسم المعبر عن تلك الطبيعة بصيغة الجمع. لكن كلمة الله تستخدمها بشكل مجتهد في صيغة المفرد فقط، محتذرة من إدخال فكرة الطبائع المختلفة في الجوهر الإلهي بالمعنى الجمعي للآلهة. ولهذا السبب يقول: "الرب إلهنا هو رب واحد" (تث 6: 4)، ويعلن أيضًا الإله الوحيد باسم اللاهوت، دون أن يقسم الوحدة إلى دلالة مزدوجة، لكي يدعو الآب والابن.

إلهين، على الرغم من أن الكتاب المقدسين أعلنوا أن كل منهما هو الله. الآب هو الله، والابن هو الله، ومع ذلك فإن الله واحد بنفس الإعلان، لأنه لا يوجد فرق في الطبيعة أو العمل في اللاهوت. لأنه لو كانت طبيعة الثالوث الأقدس (حسب فكرة الضالين) متنوعة، لامتد العدد بالنتيجة إلى تعددية الآلهة، منقسمة حسب تنوع الجوهر في الذوات. ولكن بما أن الطبيعة الإلهية الواحدة وغير المتغيرة، التي قد تكون واحدة، ترفض كل تنوع في الجوهر، فإنها لا تعترف في حالتها الخاصة بمعنى التعدد؛ ولكن بما أنها تسمى طبيعة واحدة، فهي تسمى بصيغة المفرد بجميع أسمائها الأخرى، الله، الصالح، القدوس، المخلص، العادل، القاضي، وكل اسم إلهي آخر يمكن تصوره: سواء قال أحد أن الأسماء تشير إلى الطبيعة أو إلى العمل، فلن نختلف في هذه النقطة.

ومع ذلك، إذا اعترض أي شخص على حجتنا، على أساس أن عدم الاعتراف باختلاف الطبيعة يؤدي إلى اختلاط وارتباك بين الأشخاص، فسنقدم لمثل هذا الاتهام هذا الجواب - أنه بينما نعترف بالطبيعة الثابتة للطبيعة، فإننا لا ننكر الاختلاف فيما يتعلق بالسبب، وما هو المسبب، والذي به وحده ندرك أن شخصًا ما يتميز عن الآخر - باعتقادنا، أي أن أحدهما هو السبب والآخر هو السبب؛ ومرة أخرى في ما هو من السبب ندرك تمييزًا آخر. فإن أحدهما من السبب الأول مباشرة، والآخر مما هو من السبب الأول مباشرة؛ لذلك فإن صفة الابن الوحيد تثبت بلا شك في الابن، وتدخل الابن، بينما يحفظ صفته بأنه الابن الوحيد، لا يمنع الروح من علاقته بالآب عن طريق الطبيعة.

ولكن عندما نتحدث عن السبب، وعن السبب، فإننا لا نشير بهذه الكلمات إلى الطبيعة (لأنه لا يمكن لأحد أن يعطي نفس التعريف للسبب والطبيعة)، ولكننا نشير إلى الاختلاف في طريقة الوجود. لأننا عندما نقول أن أحدهما مسبب، وأن الآخر بلا سبب، فإننا لا نقسم الطبيعة على كلمة سبب، ولكننا نشير فقط إلى حقيقة أن الابن لا يوجد بدون جيل، ولا الآب بالولادة: ولكن يجب علينا في المقام الأول أن نؤمن بوجود شيء ما، ثم نفحص طريقة وجود موضوع اعتقادنا: فمسألة الوجود واحدة، ومسألة طريقة الوجود مسألة أخرى. والقول بأن شيئا موجودا بلا توليد يبين طريقة وجوده، ولكن الموجود لا تدل عليه هذه العبارة. لو سأل فلاح عن شجرة هل هي مغروسة أم نمت من تلقاء نفسها، فأجاب إما أن الشجرة لم تغرس أو أنها نتيجة غرس، فهل بهذا الجواب يعلن طبيعة الشجرة؟ بالتأكيد لا؛ ولكن بينما يقول كيف يوجد فإنه يترك مسألة طبيعته غامضة وغير مفسرة. لذلك، في الحالة الأخرى، عندما نتعلم أنه غير مولود، نتعلم كيف يوجد، وكيف يكون من المناسب أن نتصوره على أنه موجود، ولكننا لا نسمع ما هو عليه في تلك العبارة. لذلك، عندما نعترف بهذا التمييز في حالة الثالوث الأقدس، بحيث نعتقد أن شخصًا واحدًا هو السبب، وآخر هو السبب، فلا يمكن بعد الآن أن نتهم بالخلط بين تعريف الأقانيم بواسطة مجتمع الطبيعة.

وهكذا، فمن ناحية، فإن فكرة السبب تفرق بين أقانيم الثالوث الأقدس، معلنة أن أحدهما موجود بلا سبب، والآخر هو من السبب؛ وبما أن الطبيعة الإلهية تدرك من خلال كل تصور على أنها غير قابلة للتغيير وغير منقسمة، لأنه

لهذه الأسباب نعلن بشكل صحيح أن اللاهوت واحد، وأن الله واحد، ونستخدم في صيغة المفرد جميع الأسماء الأخرى التي تعبر عن الصفات الإلهية.